الأصالة والمعاصرة فى الدراسات الإسلامية

تولوس مصطفى

Abstract

Muslims today are suffered from rational crisis that may lead to the crises of muslim world in many aspects of life. In order to protect and encourage their potentials and dynamism, the muslims have to get out of the illness. One of the ways to save them is by rethinking the methods of studying Islam. This particularly after the decline of muslims in almost all muslim countries as a result of the rise of Western thinking methods introduced by orientlists.

Students who devoted themselves in Islamic studies find that there are two contradictive ways of aproaching Islam; traditional and modern. The traditionalists try to keep the existing approaches, while the reformists call for reform and even "westernization". In this field, there are books that have been written by scholars to synthesize them. In this paper, the writer tries to describe some of them analysing their contents under the topic "Traditionalism and Modernism in Islamic Studies". The paper summarizes :

1. The study of Islam carried out by muslim scholars has a close relation to religious mission, therefore they may not be separated theoretically as well as practically and must be separated from methods come from outside Islam.
2. The methods of studying Islam in Islamic universities ought to combine the traditional and modern ones.
3. Some elements of traditionalsm are; the necessity of the knowledge of Islamic civilization, being proud of Islam, keeping the principles of Islam as well as the teaching of "salaf", then keeping the inherited tradition.
4. The elements of modernism are; the importance of understanding the time, science, technology, future thinking and keeping human rights.

This field of study is very broad and this paper is only a small part of it, so it needs suggestion from scholars especially experts of this field.

Abstrak

Mayoritas umat Islam saat ini sedang dilanda krisis pemikiran yang pada akhirnya membawa dunia Islam kepada krisis di berbagai bidang. Untuk dapat meningkatkan potensi dan dinamisme yang dimiliki umat Islam harus keluar dari situasi yang tidak menguntungkan ini. Di antara jalan keluar dari krisis ini adalah dengan memperbaiki metode studi Islam, khususnya setelah terjadinya kemunduran di bidang ini sebagai akibat dari munculnya pengaruh-pengaruh asing yang dibawa oleh para orientalis.

Para pelajar dan mahasiswa merasakan adanya dua arus yang saling bertentangan, yaitu antara kaum tradisionalis yang mendukung tetap dijaganya metode kajian Islam yang telah ada dengan kaum reformis yang menyerukan perubahan dan "westernisasi" yang pada akhirnya menimbulkan kebingungan pada mereka. Untuk menengahi persoalan ini, banyak buku-buku yang telah ditulis oleh para ahli sebagai upaya memadukan kedua kutub tersebut. Dalam makalah ini penulis mencoba memunculkan beberapa buku mengenai bahasan ini dengan memberikan beberapa analisis yang terangkum dalam judul; " Tradisionalisme dan Modernisme dalam Studi Islam". Di sini penulis memberikan beberapa kesimpulan :

1. Ada benang merah yang menghubungkan studi Islam yang dilakukan sekarang ini dengan misi kenabian, oleh sebab itu keduanya tidak boleh dipisahkan, baik teori maupun praktek sebagaimana pula harus dipisahkan dari metode yang datang dari luar.
2. Studi Islam di Perguruan Tinggi harus menggabungkan kedua metode; tradisional dan modern.
3. Di antara unsur-unsur tradisionalisme adalah; keharusan mengetahui peradaban Islam, bangga dengan baju Islam, kembali kepada pokok ajaran Islam, menghidupkan ajaran salaf serta melestarikan tradisi.
4. Adapun di antara unsur-unsur modernisme adalah; keharusan mengetahui kondisi zaman, mengetahui ilmu pengetahuan, teknologi, berpandangan futuristik serta menjaga hak-hak asasi manusia.

Pada dasarnya kajian ini sangatlah luas sementara tulisan ini masih sangat dangkal, oleh sebab itu kritikan serta perbaikan untuk pengembangan sangat diharapkan.

مقدمة

إن المتتبع فى أحوال الأمة الإسلامية لايصعب عليه تبين ما هى عليه من تخلف حضارى وهوان سياسى ومعاناة انسانية رغم كل ما تمتع به من إمكانات بشرية ومادية وما تمتلكه من قيم ومبادئ سامية.

هذا هولب الأزمة التي تعيشها الأمة الإسلامية في مختلفة بقاعها وعلى إمتداد وجودها، هذا الوجود المتخلف التانه الذي ما زال يؤرق الضمير الإسلامي الذي يمثل ضمير أمة بناءة رائدة، ولذلك كان من الطبيعي للأمة الإسلامية أن تتطلع إلى النهضة والإصلاح والتجديدو الصحوة.

ومعالجة القصور فى كيان الأمة وتحقيق شروط العلاج والنجاح يستلزم فهم أسباب القصور ودواعي التخلف والضعف الذي بلغ بالأمة الإسلامية لأول مرة في تاريخها إلى تهديد الوجود. وذلك بسبب التحدي الحضاري الغربي الذي تواجهه في صميم حياتها وأنماط فكر ها ومؤسساتها.

ولفهم أسباب القصور وجذور التدهور الحضاري التي تعانى منه الأمة في هذا العصر لابد لنا من نظرة شمولية تحليلية عميقة في كيان الأمة وخطوط مسارها الذي بلغ بها دركا مازالت تتهاوي في أعماقه حتى اليوم.

والسؤال الملح اليوم : ما هو المنطلق الصحيح للخروج من الأزمة ؟ والجواب الصحيح - فيما أرى - إنما يبدأ من تحديد وتمحيص المنطلقات والبدائل المعروضة في مواجهة حركة الأمة أولا، وهي في أساسها تنحصر في توجهات رئيسية ثلاثة هي :

أولا: منطلق التقليد الأجنبي أو ما نسميه (بالحل الأجنبي) وهو يمثل مجموعة من الحلول المستوردة جوهريا من التجربة الغربية المادية الحديثة بكل

أشكالها الفردية والشمولية والعلمانية والإلحادية (الراسمالية والماركسية).

ثانيا : منطلق التقليد التاريخي أو 'الحل التقليدي والتاريخي الإسلامي ' وهو يمثل مجموعة الحلول المنقولة جوهريا من بطون التاريخ مع إلغاء الأبعاد الزمانية والمكانية وآثارها.

ثالثا : منطلق الأصالة الإسلامية أو ما نسميه ' بالحل الأسلامي المعاصر' وهو يمثل الحل بمواجهة تحديات العصر من منطلق إسلامى. (١)

واذاكانت هذه التوجهات تنطبق على الميادين المختلفة للحياة خاصة فى التوجهات الفكرية فإن الدراسات الإسلامية تتأثربها ايضا لأن تلك التوجهات تنطلق من الثقافات التى تؤثر فيها.وبما أن الدراسات الإسلامية من العوامل المؤثرة والأساسية فى تكوين ثقافة الأمة فإنها تحتاج الى ترشيدها لتواكب مع توجهات الإسلام نفسه وخاصة بعد أن احتدمت المعركة بين أنصار الأصالة والمعاصرة فيها.

والأهم في تحقيق هذه التوجهات هو إعادة صياغة منهج البحث والدراسات الإسلامية لينطلق من قاعدة الممارسة والإدراك والخبرة نحو الإسلام ومقاصده وقيمه وضوابطه الإجتماعية والحضاريةوهذا البحث محاولة متواضعة في نقض الغبار الذي تراكم على هذا الموضوع. ولأبل ريق العطاس إلى هذه القضية.

فقد كتب كثير من المفكرين المعاصرين فى هذا المجال منهم محمد اقبال وضياء الدين ساردار ود.اسماعيل الفاروقى ود.يوسف القرضاوى. فهنا يحاول الكاتب أن يعرض بعض ما كتبوا فيه وإلقاء الضوء وبعض التحاليل المتواضعة عليه للإستفادة بذلك فى اثراء الأفكار التى تنادى بتطوير الجامعات الإسلامية

خاصة فى اندونيسيا، وللخروج من المآزق التى تعانى منها الدراسات الإسلامية الآن. ويحدد البحث حول موضوع الأصالة والمعاصرة فى الثقافة الإسلامية والتى هى موضوع الدراسات الإسلامية .كما حدد الكاتب ان المقصود بالدراسات الإسلامية هنا هى دراسة جامعية وما بعدها.

وبما أن الدراسات الإسلامية بالجامعات الإسلامية هى من ضمن الأعمال التربويةالمتواصلة منذ الرسول صل الله عليه وسلم الى ظهورتلك الجامعات. فمن الأهمية بمكان ذكر المنظور التاريخى للتربية الإسلاميه لأن لا تنتزع الجامعات الإسلامية والدراسات الأسلامية فيها عن جذورها وأصالتها.

ويتناول البحث الموضوعات التالية :

١. الدرسات الإسلامية وأهدافها
٢.المنظور التاريخى للتربية الإسلامية
٣.الجامعة الإسلامية وطبيعتها
٤. الثقافة الإسلامية كموضوع للدراسات الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة

وعسى أن أكون قد أدليت بدلاني فى هذا الموضوع الهام ولو بمقدار.

الدراسات الإسلامية وأهدافها

يرى محمد إقبال - وهو أكثر الفلاسفة المسلمين شهرة في القرن العشرين - أن الدراسات الإسلامية لها أربعة أهداف رئيسية:

- تربية وتدريب علماء الدين من ذوي المؤهلات الطيبة؛
- تخريج الدارسين القادرين على أن يتتبعوا الأصول التاريخية لاستمرار الحياة الفكرية بين الثقافة الإسلامية والمعرفة الحديثة؛

- تخريج الدارسين المسلمين وتمكنينهم في الجوانب المختلفة للتاريخ الإسلامي والفن الإسلامي والثقافة العامة الإسلامية والحضارة الإشلامية '
- إخراج الدارسين المؤهلين لمواصلة البحوث في التراث والدراسات القانونية الإسلامية[٢] ومن الواضح أن إقبال قد أعمل فكره في هذا الأمر حيث يقوم بتفصيل كل هدف من هذه الأهداف.

ويحاول إقبال أن يبرهن على أن تدريب علماء الدين من ذوي المؤهلات الطيبة يعتبر ضروريا لاشباع الحاجات الروحانية للمجتمع ' ولكن هذه الحاجات الروحانية لأي مجتمع تتغير مع أتساع نظر هذا المجتمع للحياة. فتغير المكانة التي يتمتع بها الفرد وتمرره الفكري والتقدم غير المحدود في العلوم الطبيعية قدغير بطريقة كلية المادة التي تتشكل منها الحياة العصرية [٣]

ومن خلال تلك الأهداف نلاحظ أن إقبال بدأ بولّى إهتماماته في الدراسات الإسلامية بعباراة ' تربية' فقد كان موفقا في استخدام هذه الكلمات حيث أن التربية هي سلسلة متواصلة بدأ من المربي الأول رسول الله صلى الله علي وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهذا الموضوع جدير بأن نضعه في ركائز بحثنا عن الدراسات الإسلامية لأن هناك محاولات وشبكات منظمة تريد أن تفصل بين مجال الدراسات الإسلامية وصميم أهدافها في مجال التربية فإذا تتبعنا المنظور التاريخي للتربية الإسلامية نجد أن المعرفة والحكمة تنمو بين يوم وآخر. فكل جيل يرث ما ادّخره له سلفه بعد الصراع مع الطبيعة في مجال الفنون الإبداعية والفلسفية والعلوم الطبيعية والمخترات. أننا نبطئ في التيقن من أن أخلاقياتنا ومفهومنا عن الإسلام من آدم إلى نوح ومن نوح إلى إبراهيم ومن إبراهيم إلى خاتم النبيين محمد صلى‌الله عليه وسلم أيضا من قوة الىقوة وأن الإسلام ليس إلا الصورة النهائية ' أكثر التعابير نضجا عن القيمة

المطلقة"[٤] لقد جاء لينسف المعرفة والحكمة دنيوية كانت أو دينية والفن والفلسفة والأبعاد المتعددة للحياة في طريقة واحدة للحياة اسمها' الدين' لقد جاء ليلغى كل ثنائية تتعارض أساسا مع المبادئ الأساسية للتوحيد[٥]

في المرحلة الأولى للإسلام ظلت التربية مجرد و سيلة لعرض كل ما تلقته من الأعمال الشريفة للنبي تقديمها وروايتها، وبهذا الإعتبار لم يكن هناك فرق بين التربية والدعوة. وبعد ذلك، ونتيجة لازدياد المسلمين في عدد من الأقطار واتصالهم بأنواع من الحضارات المؤسسة عل عقائد مختلفة طور الإسلام تقاليد الأخلاقية والثقافية والإجتاعية والإقتصادية الخاصة ونظرته الفلسفية وبالتالي نظامه التعليمي.

ولم يجحم الإسلام مطلقا عن الإفادة من تجارب الحضارات الأخرى ومعلوماتها كل ما هناك أنه كا صامدا فيما يتصل بقيمه الذاتية.

المنظور التاريخى للتربية الإسلامية:

ويمكن باختصار أن نعرض هذا المنظر التاريخي من خلال المراحل الأربع التالية :

١- التربية في عصر الرسول ٢ - التربية الإسلامية المبكرة

٣- مؤسسة التعليم العالي في القرون الوسطى ٤- الجامعات الحديثة

نرى بعض الجهود التي بذلها الرسول صلوات الله وسلامه عليه بنشر التربية كانت بمثابة المؤثر الضوني لمفهوم وتطور نظام التربية الإسلامية.

أن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت مكرسة لتطهير الناس وتربيتهم فقدكانت كل لحظة من حياته تبذل في الدعوة إلى العقيدة الإسلامية والعمل الإسلامي من خلال الكلام والعمل وطريقة حياته ذاتها،[٦]

ان القدوة التى قدمها الرسول صلوات الله وسلامه عليه بإقامة مؤسسة التعليم اتبعها المسلمون بكل اخلاص خلال القرون لأربعة الأولىمن الهجرة حينما كانت كل الكتاتيب او المدارس تتخذ من المساجد أماكن لها او تلحق بها،وقد ساعدت تلك المدارس على دعم اساسها الروحى وكذلك على تأكيد تلك المثل والفلسفات التربوية المميزة السائدة التى كان لابد أن تعطى العملية التربوبية شكلها فى القرون الأولى ،ويمكن أن أن يعد هذا بمثابة المرحلة الأولى من مراحل التربية الإسلامية المبكرة. ومع القرن الهجرى الخامس فى العصر العباسى أقيمت مؤسسات للتعليم العالى فى المدن الكبرى وكان مقرها قاعات كبيرة أومبانى خاصة بها. لا شك أن هذه المبانى الحقت بها أيضا مساجد او قاعات للصلاة ولكن فى هذه الحالة كان المسجد هو الملحق بالمؤسسة التعليمية وليست المدرسة هى الملحقة بالمسجد، وقد حولت هذه العملية الإهتمام من الجانب الروحى الى الجانب العقلى دون اهمال للأول،وقد ساعد ذلك المسلمين ايضا أن يحققوا خطوات واسعة فى مجال العلوم الطبيعية والإجتماعية أن يحققوا فى قرون قليلة ما كانت الأمم الأخرى تحققه فى ألف سنة. (٧)

وفي بداية القرن الخامس إنفصلت المدرسة عن المسجد وأصبح التعليم بمصروفات، وإن كان رمزية،بعد أن كان بالمجان، وبهذا بدأ عصر القرون الوسطى للتربية الإسلامية (٨)

وهذا هو العصر الذي ظهرت فيه المدارس والكليات، وبين ' فون كريمر' بحق وهو المستشرق الألماني مشيرا إلى المدرسة ' لم يكن ضيق الأماكن في المسجد هو الذي دعا إلى وجود المدرسة ولكن المناهج ونشر المعرفة أوجدا طبقة من الرجال الذين وجدوا من الصعب كسب العيش الكريم من خلال

التعليم النظري، وكان من أجل إيجاد دراسة أخرى وتقديم أرزاق لأمثال هؤلاء أن انشئت المدرسة حقيقة[٩]

ومن الحقائق الفريدة أنه في زمن' المستظهر ' الذي أصبح خليفة عام ٤٨٧ هـ (١٠٩٤م)، وحينما كانت السحاب السوداء للغزو التتاري على وشك الإنفجار، لم تكن هناك مدرسة واحدة أسسها خليفة من خلفاء بني العباس.[١٠]

وعلى أي حال، فإن الأزهر في ظل الإدارة الفاطمية كان مستودعا عظيما للعلم حسب تعاليم المذهب الشيعي ويمكن أن يدعى أنه أقدم جامعة في العالم، وفي الوقت الذي قوى العباسيون فيه نظامه التربوي أسست النظامية في بغداد لترد على دعاية المعسكر المضاد وجدله الديني. وقد كان للمدرسة تأثير طويل الأجل على نظام التربية الإسلامية شكلا ومضمونا. [١١]

دخلت التربية الحديثة الأقطار الإسلامية في أغلب الأحيان من الأبواب الخلفية إما من خلال النفوذ الثقافي أو من خلال السيطرة السياسية، وقد أبعدت التراث الإسلامي للتربية عن الأضواء وأحلت محله نظام التعليم الغربي في جميع المراحل التعليمية بدا بالمرحلة الإبتدائية وانتهاء بالمرحلة الجامعية، واعتقدت حكومات الأقطار الإسلامية أنه بدون تبنى نظام التعليم الغربي يصبح من العسير على دولهم تحقيق أي تقدم في العالم الحديث، هكذا تركت المؤسسات التربوية الإسلامية التقليدية والمدارس ودور العلوم إما للتشجيع الخاص وتصبح مقارها المساجد أو البيوت الخاصة، أو تقدم لها الحكومة بعض المساعدات على أن تكون معاهد لاهوتية تقوم باعداد رجال الدين، ومن ناحية أخرى، أنشئت شبكة من الكليات والمدارس الجديدة في محيط صحى ينم عن الفخامة والأبهة، ويرجع الفضل للمسلمين في أنه رغم كل المعوقات والمآزق

استطاع عدد من المسلمين المخلصين إنقاذ التربية الإسلامية من الانهيار الكامل وحدوث الكارثة،

الجامعة الإسلامية وطبيعيتها:

ومواصلة للجهود التي بذلت لأجل الإحتفاظ بالتربية الإسلامية وتطويرا للمؤسسات التربوية لتواكب متطلبات العصر، وفقد رأى د. إسماعيل الفاروق في طبيعة الجامعة الإسلامية أن تقوم على القاعدة الإسلامية المتينة تزيل الشكوك والشبهات والتناقضات . ومن ضمن التناقضات التى لابد من ازالتها هى :

أ- لاتناقض بين العلوم الثقافية والأخلاقية :

لقد اعتبرت الجامعات الإسلامية في الماضي نفسها كمؤسسات تتحمل التبعات والثقافية والأخلاقية في نفس الوقت وهذا الهدف الثنائي ينبثق مباشرة من المنظور الإسلامي فالحقيقة واحدة ومعرفتها واحدة مثلما أن الله واحد. وهكذا فإن الحقيقة الثقافية أو الحقيقة النظرية لا يمكن فصلها عن الحقيقة الأخلاقية أو العملية على المستوى المجرد. ففي الواقع أن المعلومات التي يستهدفها البحث النظري هي ذاتها يستهدفها الإختبار العملي فإن الأثر الناجم عن الأول هو الفهم والأثر الناجم عن الثاني هو التقويم ومن ثم فهما يشكلان واحدا كما أن العملية المؤدية إليه واحدة بل هي نفسها. وفي الواقع فإن إدراك الشيئ لا يتحقق دون فهم قيمته فلكي نعرف أن هذا الشيئ فاكهة فإن ذلك يعني أن نفهم خواصه التاريخية والنباتية والكيمائية إلى جانب مكانه في النسيج البيئ أو نسق الأهداف من الخلق ومن ثم قيمته للحياة النباتية والحيوانية والبشرية وإن دراسة الإنسان لنفسه وللآخرين وللخلق يجب أن تشتمل كلا من المظاهر النظرية

والقيمية إذا ما كانت ستكون دراسة إسلامية. وحينئذ - فقط - سيكون إكتسابها ' حكمة ' تلك الحكمة التي تعتبر دائما جامعة لنوعين من المعرفة والنظرية القيمية.

فعلى الجامعة الإسلامية ألا تنتهج المنهج الغربى الذى يحرر العلوم الطبيعية من ربق الكنيسة نتجة الصراع بين رجال العلم والكنيسة ومن ثم فليس فيه شيئ للمسلمين ليتحذوحذوه. إن هدف الجامعة الإسلامية يجب أن يكون تنمية الإنسان الكامل. فالحقيقة النظرية والقيمة والأخلاقية تأتيان في حدود رأي الجامعة باعتبارهما شيأن لا ينفصلان، وشهادة التخرج منها يجب أن تكون دائما شهادة بدراسة كليهما. وعلى طريق تنمية الإنسان الكامل تلجأ الجامعة الإسلامية إلى هداية العقل والإرادة معا ومن ثم فإن دراستهما الإجتماعية والطبيعية وفروعها الإنسانية سوف تعرض لمعلوماتنا وتفحصها مثلما تقوم، بنفسي الشيئ للقيم المرتبطة بها فجميعها ستكون - بقدر متساو - موضوعا للتحليل النقدى على المستويين النظري والأخلاقي. وعند ما يتم التعامل معها على هذا الأساس فكلها ستصل بنا إلى حقائق متساوية في صدقها(١٣)

٢- لا تناقض بين العقل والوحي :

فالحقيقة هناك قضيتان لا تقل أهميتهما من عدم التناقض بين العلوم الثقافية والأخلاقية، وهما قضية عدم التناقض بين العقل والوحي وبين الفرد والإجتماع ولكن المقام لايسمح لذكرهما.(١٤)

الثقافات الإسلامية كموضوع فى الدراسات الإسلام:

فمما لاريب فيه أن كل المثقفين على مسار الأمة، وكل القوى والتيارات لفكرية والسياسية
والإجتماعية، متفقون على أن أمتنا تعيش فى أزمة حقيقية تعددت أعراضها أو تنوعت أثارها ،وإن اختلفوا فى تعيين جوهر الأزمة ماهو؟

أهى أزمة إيمانية وأخلاقية،كما يصورها دعاة الدين والفضيلة ؟ أم هى أزمة فكرية ومعرفية كما يصورها رجال الفكر والثقافة ؟ أم هى أزمة حرية سياسية وديمقراطية ،كما يصورها القوى المعارضة للنظم الحاكمة ؟أم هى أزمة علمية وتكنولوجية ،كما يصورها كثير من دعاة الإصلاح ومن رجال الفكر أنفسهم؟(١٥).

ومن الواضح أنه لن يكفي أن يكون جوهر الحل والمنطلق والتوجه إسلاميا بإطلاق، لأن الإسلام عامل مشترك بين ' الحل التقليدي والتاريخي الإسلامي' وبين ' حل الأصالة الإسلامية المعاصر'، ولذلك لابد من تحديد جوانب ' حل الأصالة الإسلامية المعاصر' التي تميز هذا الحل عن سواه من الحلول، وتوفر له شروط الفاعلية وتمده بأسباب النجاح(١٦).

ومهما يكن الإختلاف في تحديد جوهر الأزمة، فأحسب أنه لا يخالف أحد في أهمية دور الثقافة، وخصوصا الجانب الفكري والأدبي والفني منها، وذلك مما لها من تأثير في الأخلاق والسلوك، ومن تأثير في السياسية والحكم، وتأثير في توجهات الشعوب إلى التقدم أو التخلف إلى العلم والعمل، أو إلى الكلام والجدل.

وإذا كانت الثقافة الإسلامية والعربية هي موضوع الدراسات الإسلامية فلا بد لنا من تحديد الثقافة التي نريد دراستها مضمونها ومعالمها لتكون الدراسات الإسلامية متفقة مع توجهاتنا الإسلامية، ذلك لأن الدراسات الإسلامية في الجامعات الإسلامية تختلف عن الدراسات الإسلامية في الغرب، فبالتالي تختلف عن الثقافة التي تدرس فيها .

فجذور الدراسات الإسلامية في الغرب، تغوص بعمق في التاريخ الإستعماري، ويرى مارسال هود جسن أن الدراسة الغربية للدراسات الإسلامية نشأت من خلال ثلاثة منافذ : (١٧)

أولها أولئك الذين درسوا الإمبرطورية العثمانية التي قامت بدور رئيسي كبير في أوروبا الحديثة، ليروا جميع بلاد الإسلام من خلال المنظور السياسي للعاصمة العثمانية إسطنبول.

وثانيها أولئك الذين دخلوا الدراسات الإسلامية وهم من البريطانيين عادة - لكي يتقنوا اللغة الفارسية ،باعتبارهم موظفين مدنيين ممتازين.

وثالثها أولئك الساميون الذين إهتموا قبل كل شيئ بالدراسات العبرية

ومهما كان المنفذ الذي تمت من خلاله الدراسات الإسلامية في الغرب فإن أهدافها كانت بسيطة ومباشرة وهي فهم العقل المسلم والثقافة الإسلامية لكي تسير عملية الإستعمارو لكي تواجه متطلبات الوظائف المدنية المتزايدة المرتبطة به. وتشير هذه الأهداف بكل تأكيد على أن الدراسات الإسلامية في الغرب كانت فرعا يثير المشكلات فكيف يمكن أن يجعلوا الإسلام يبدو في مرتبة سفلى ؟ وكيف يمكن أن يقنعوا المسلمين بقبول مسيرهم باعتبارهم رعايا محكومين ؟ وكيف يمكن أن يجعلوا المسلمين تابعين فكريا ومن ثم ماديا ؟ ...

إلخ ذلك ما كانوا يجرون وراءه داخل إطار القيم والأنسقة الثقافية الغربية. وقد شكل هذا الإطار المصدر للإستشراق والمدخل والطريقة لدراسة الإسلام وهو ذاته الإطار الذي قام بتحليله بطريقة ثاقبة كثيرون من بينهم إدوارد سعيد. وتركزت الوظيفة الرئيسية لمراكز الدراسات الإسلامية في جامعات كمبردج، واكسفورد، وليدن، والسوريون، وبرلين حول تخريج موظفين مدنيين مدربين في فن الإدارة الإستعمارية وحول تجهيز بعثات التبشير المسيحية بالمجالات التي تساعد هم في عملية التنصير وحول انتاج مجموعة من الدراسات التي تبرر السيطرة الأوروبية على أراضي المسلمين.

ويظهر التراث الإستعماري واضحا في أغلب مقررات الدراسات الإسلامية الحالية في الجامعات الغربية، ويقومون بتدريسها بطريقة تجمع بين الخيرية الإنسانية المتحمسة والإهتمام بالمصلحة الذاتية الباطنية. ولم تكن الإرتباطات بينها وبين السياسية الخارجية أمرا مستبعدا على الإطلاق. ومع ذلك فإن الدراسات الإسلامية في الغرب تمتاز بميزة واضحة : فحيث إن الإسلام يدرس باعتباره ' مشكلة' – وإن كان ذلك من منظور القيم والثقافة الغربية – فإن هناك تأكيد قوي على التحليل، وكانت أفضل أعمال الدارسين المستشرقين أعمالا تحليلية : مثل كتاب هودجسون ' مغامرة الإسلام ' وكتاب د.م. دنلوب ' الحضارة العربية حتى سنة ١٥٠٠ بعد الميلاد. ومع ذلك أكتسب الدراسات الإسلامية أكثر تعاطفا مع التحول الجزئي في تركيب القوة العالمية والثروة الإقتصادية التي حلت حديثا بأقطار إسلامية معينة. وما يعنيه ذلك فعلا هو أن الدارسين المستشرقين يميلون الآن في تحليلهم إلى معاملة القيم الإسلامية والثقافة الإسلامية داخل معاييرها الذاتية، فنجد مقررات الدراسات

الإسلامية الآن تحتوي أعمالا للكتاب المسلمين كما أصبح الإسلام يدرس باعتباره حضارة.(١٨)

وفي مجال الدراسات الإسلاميةايضا نجد الأخطاء التي وقع فيها بعض المستشرفين الذين عالجوا موضوعات الفكر الإسلامي ومقومات الحضارة الغربية الإسلامية وتراثها الأدبي العلمي والأخلاقي والسياسي في لغتهم، فأساؤوا تقديمها لقرائهم وحرفوا مقولاتهم وشوّهوا صورتها عن قصد مبيت حينا، وعن جهل وسوء فهم أحايين أخرى، فكان من الواجب التصدى للمناهج التي انطلقوا منها، ومناقسة النتائج التي انتهوا إليها والرد عليها وتصويبها بما تقتضى الموضوعية والنزاهة وروح البحث المنهجى .

ومن بين الغايات الأخرى توجيه إهتمام الباحثين والدارسين المعاصرين من الشباب ا المسلمين الذين انساق بعضهم إلى التأثر بهذه المناهج والانبهاربها إلى الأسس التي قامت عليها وإلى النتائج الخطيرة التي تمخضت عنها من تشكيك في العقيدة وحض للنبوة وافتراء على التاريخ وتزييف للحقائق لمساعدتهم على وعي ما تنطور عليه من مزالق ومحاذير مبطنة بالعلمانية والتجرد والموضوعية التي يدعيها بعض هؤلاء المستشرقين دون أن تغفل هذه الدراسات الإلماع إلى بعض الجوانب الإيجابية والمواقف البارزة التي ظهرت في بعض الدراسات الإستشراقية وانصافها بما تستحق من التنويه والإشادة إكبارا للرجال الذين تميزوا بالموضوعية وابتعدوا عن الأهواء وتغلبت عناصر الخير في نفوسهم على عناصر التعصب والغواية. (١٩)

والسؤال الكبير الذى طرح نفسه علينا وتتلمذ علينا هو: كيف تكون العلاقة بيننا وبين الوفد الجديد ؟ كيف توازن بين قديمنا وحديثهم ؟ أو بين تراثنا الأصيل ومعاصرهم الدخيل ؟

هذه الأسئلة فى منتهى الأهمية لأن الأمة اذا صحت واستقامت ،وتكاملت وتوازنت وسلمت من عوامل التشويه والتحريف-كما هو الأصل فى ثقافتنا- لكان لها أثرها البالغ فى صحة توجه الأمة واستقامتها وتكاملها وتوازنها،واذا حدث العكس كانت النتيجة عكسية كذلك،لأن الثمرة من جنس الشجرة[٢٠]،،وصدق الله اذ يقول :((والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لايخرج الا نكدا))(الأعراف:٥٨).

الأصالة والمعاصرة فى الثقافة الإسلامية:

وللإجابة عن تلك الأسئلة يتبادر أمامنا موضوع الثقافة الإسلامية ويتماثل علينا قضية الأصالة والمعاصرة فيهاوهى قضية قديمة استمرت فيها المعركة بين التيارين المتضادين،ظاهرة حينا وخفية فى معظم الأحيان ويشتعل أوارها كلماظهر كتاب بالغ الجرئة،أونشرت مقالة كذلك ،وتخبو جذوتها كلما مضت الحياة على وتيرتهاالمعتادة.كان التيار الأول يمثل الجديد الوافدفى بريقه واغرائه.

هل العلاقة بين التراث القديم والوافد الحديث -أو بين الأصالةوالمعاصرة -هى علاقة التضاد والتناقض فلا أمل فى الجمع بينهما ؟ أم هى علاقة التنوع والتكامل وهنا يمكن الجمع بينهما؟والسؤال خطير والجواب مهم وخصوصا فى هذه المرحلة التى تسعى فيها أمتنا لتحقيق ذاتها التى غابت أو غيبت عنها زمنا.وقد أجاب عنه أناس بافتراض التناقض بين الأمرين،فاختار فريق التراث والأصالة،وعاشوا غرباء عن العالم والزمان.واختار أخرون العصر والحداثة،وعاشوا غرباء عن الأهل والمكان. وبقى أخرون مترددين بين أولئك وهؤلئك.[٢١]

وأرى أن ما كتبه الدكتور يوسف القرضاوى فى هذا الموضوع هو الموفق حيث قال أن الموقف الصحيح هو الذى يتخذ بعد الدراسة المتأنية لكل من الأمرين المعروضين، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره. والتسرع فى مثل هذه المواقف الفكرية قد يوقع صاحبه فى هوة لايخرج منها إلا ماشاء الله.(٢٢)

والتحديد المطلوب هو فى التأكيد على أصالة وعصرية الحل الإسلامى المقترح(٢٣) كما سبق ذكره، بمعنى أن يتوجه الحل من منطلق العقائد والقيم والنوازع الأسلامية نحو واقع الأمة المعاصر وقضاياها القائمة وما يستلزم ذلك من إدراك أبعاد الزمان والمكان فى فهم التراث والتجربة الإسلامية للعصر الأول من جانب، وادراك معنى التغيرات الكمية والنوعية فى الحياة البشرية بكل ما يحتمه حسن الفهم من الشمول والعمق والدقة والخبرة والتحليل من جانب آخر، وذلك يختلف عن حلول التقليد ومنطلقات المحاكاة حتى تأتى الحلول والسياسات والتصورات الإسلامية المعاصرة معبرة بل مطابقة لاحتياجات واقع الأمة ومطابقة مستجيبة لما تواجهه من تحديات حقيقية، وعلى أساس من قيمها وتصوراتها وغايتها الإسلامية وبذلك تصبح الأمة وقدرتها فى موضع القيادة وبقيمها وغايتها تحسن توجيه مسيرة الأنسانية.(٢٤)

إن مفهومنا للأصالة المعاصرة أي التعامل مع الواقع المعاصر من منطلقات الأمة وذاتيتها الإسلامية يعني أولا الشمول، وهو بالتلي يعني فهم كلية التطبيقات والسياسيات الأولى الإسلامية بكل أبعادها الزمانية والمكانية، وتفهم واستنباط غايتها ومقاصدها وعلاقاتها الصحيحة لتكون قاعدة التعامل مع كلية الحياة والمجتمع المعاصر وحتى تتمكن الأمة أن تصبح فى مقعد القيادة الحضارية.

الأصالة المعاصرة تقتضى الوعي الكامل والتركيز التام على مقاصد الشريعة وكلياتها وقيمها ومبادئها الأساسية، وجعلها منطلقا للفكر الإجتاعي الإسلامي في هذا العصر وصياغة المؤسسات والأنظمة والضوابط التي توجهه وتتحكم في حركته، بحيث يبقى للإسلام مجتمعه المتميز بالعدل والشورى والتضامن والإخاء وسائر قيم الإسلام الكبرى دون ضعف أو عجز أو حرمان ودون فساد إسراف أو نكران.

وللوصول إلى هذه الغاية يحتاج إلى إعادة وحدة التعليم بشقيه الروحي القيمي والفني العملي في مراحله كافة والعناية بمنطلقاته وفلسفته الإسلامية وبتعمقه وتخصصه العلمي في كل فروع المعرفة، خاصة جانب العلوم الإجتماعية والإنسانية.

إن ضم الجانبين العقيدي والفكري هو في النهاية إعادة صلة الوحي والعقل أي بإعمال العقل في إدراك الوحي وقضاياه وهداية العقل بغايات الوحي الكلية الكونية وقيمه الحياتية والحضارية، وعملية الإصلاح هذه تضم الجناحين هي في النهاية عملية فكرية في المنهج والأسلوب أي أن الأزمة التي تواجهها الأمة في صميمها هي أزمة فكرية. وبالطبع فإن الدعوة إلى المنطلق الصحيح وبسط جوانبه وتحديد أولوياته وطرح خططه هو واجب المفكرين والكتاب والقيادات السياسية والإجتماعية الواعية التي عليها أن تجاهد في توضيح الصورة وتوعية الأمة وبناء القواعد حتى تستقر البذرة فتنموا الشجرة وتصلح الثمار[٢٥]. وتركيزنا على وصف ثقافتنا العربية الإسلامية بالأصالة ليس لمجرد التباهي والفخر، بل هو مؤشر أو مفتاح لمجموعة من المعاني الكبيرة، يجب التنبيه عليها[٢٦]:

١-ضرورة المعرفة والفهم لثقافة :

أول هذه المعاني التي تتطلبها الأصالة هي المعرفة والفهم : فهم هذه الثقافة بخصائصها الذاتية، ومكوناتها الأساسية. فهمها من مصادرها الأصيلة، وليس من المصادر الهامشية أو المدخولة، أو المنحولة، أو الواهية. فهمها من أهلها الثقات لا المجروحين، ناهيك بغير أهلها، من الدخلاء عليها، الغرباء عنها. فهمها بأدواتها ومناهجها الخاصة، لا بأدوات ومناهج غريبة عنها مفروضة عليها.

لقد رأينا من يرفض رواية صحيحي البخاري ومسلم، ويأخذ برواية كتاب (الإمامة والسياسية) المعزو لابن قتيبة، وهو كتاب لقيط، منحول لابن قتيبة. رأينا من يطعن في أسانيد المحدثين، ويعتمد أسانيد كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني. رأينا من يستند إلى روايات عصر الفتنة الكبرى ذكرها الطبرى مثلا بأسانيد واهية مردودة، فاعتبر هؤلاء مجرد ذكرها من عالم كبير توثيقا لها، وهو قد برئ من العهدة بذكر سندها : وعلى الباحث أن يرجع إلى علم الرجال، ليعرف إن كان الراوي معدلا أو مجروحا. وقد بين في مقدمته لماذا اتبع هذا المنهج، ولم يدقق كما يدقق في كتب الآثار أو كتب الفقه، التي يعرف بها الحلال والحرام ؟

إن كتب الحديث، المروية بالأسانيد نفسها، فيها الضعيف والموضوع، فكيف بغيرها ؟

رأينا من يحكم تاريخ الأمة - وخصوصا في أفضل عصورها - معتمدين على ما تذكره كتب الأدب والنوادر والأقاصيص، التي تروى الغث والسمين، والصدق والكذب، وكأن بحسبهم أنهم وجدوه في كتاب، ولو كان (ألف ليلة وليلة) !.

رأينا من يعتبر المستشرقين حجة في كل ما يكتبون، ولا يحاول أن يمتحن آراءهم، ويناقش إستدلالاتهم، ويقارن دعاويهم بعضها ببعض. ولو فعل لوجد الكثير الكثير من التهافت والتناقض والخطأ المبين، والدعاوي العريضة بغير برهان. ولتبيّن له أن ثمت نقاط ضعف أساسية فيما يكتبه المستشرقون عن ثقافتنا،وأسباب ذلك :

أ- عدم تمكينهم من اللغة العربية، وتذوقهم لها، وتفهمهم لدلالتها المتنوعة، وهذا لابد ان يكون له إنعاكاسه على مدى فهمهم للمصادر الإسلامية الأصيلة، وخصوصا القرآن العزيز، والسنة المشرفة، ولهذا كان فهمهم للإسلام ورسالته مشوشا ومنقوصا.

ب- عقدة تفوق الإنسان الغربي، والعقل الغربي، والحضارة الغربية، والنظر إلى الغرب أنه سيد العالم، وأن أوروبا أم الدنيا، وأن التاريخ من الغرب بدأ، وإليه يعود.

ج- الإنطلاق من مسلمات غبر قابلة للإمتحان عند الإنسان الغربي، وهي أن القرآن ليس كلام الله، وأن محمدا ليس رسول الله، فهو قد كون فكرته مقدما قبل أن يبحث، ثم هو يسعى في بحثه للإستدلال عليها بكل ما يمكنه، وفي سيل هذا يقبل الواهيات من الروايات، ويصدق الأكاذيب، ويضخم الوقائع الصغيرة، ويجعل من الحبة قبة، ومن الشبهة حجة ويستدل بما ليس بدليل، ويرفض ما يخالف وجهته وإن كان في وضوح الشمس.

د-أن دراسات المستشرقين كثيرا ما تكون موجهة لخدمة أهداف عملية، مطلوبة منهم لهذه الدولة أو تلك. وكثيرا ترصد الملايين لتحقيق هذه البحوث، وهذا ما يجعل هذه الدراسات غير مبرأة من الغرض. (٢٧)

المثقف (الأصيل) حقا من وفق لمعرفة هذه الثقافة من مصادرها الحقة، واستقاها من ينابيعها الصافية، وعلّ منها ونهل، وأخذ منها بقدر ما اتسع واديه : {فسالت أودية بقدرها} (الرعد : ١٧)

أما من جهل هذه الثقافة ، وحرم من السياحة في رحابها، أو التنزه في رياضها، فموقفه منها موقف الجاهل لما يجهله. وقد قال العرب : من جهل شيئا عاداه. في القرآن تصديق ذلك حيث يقول الله تعالى : { بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله} (يونس : ٣٩)

وكثير من مثقفي عصرنا من حملة الألقاب الكبيرة من هذا الصنف، ونهم من شب على ذلك وشاب عليه ومات عليه. ومنهم من أراد الله به خيرا، ففتح له بابا هذه الثقافة. جعله بغير رأيه ويعدل من موقفه كثيرا أو قليلا، معترفا بذلك في شجاعة تذكر له فتشكر.

ومن هؤلاء الدكتور مصطفى محمود الذي بدأ شاكا أو ملحدا، معتنقا للفكر الماركسي المادي، كما بدأ ذلك في كتابه (الله والإنسان)، ثم انتقل من الجحود إلى اليقين، ومن الشك إلى الإيمان، ومن الماركسية إلى الإسلام، وأصدر في ذلك كتبا، وحرر مقالات، وقدم برنامجه الشهير في التليفزيون (العلم والإيمان) بل حاول الإتجاه نحو فهم عصري للقرآن، لم يسلم من بعض الشطط، وهو ما أنكره عليه كثيرون من أهل الإختصاص. [٢٨]

يبد أن الذي نركز عليه هنا : أن الأصالة الحقة لا تكون بمجرد الدعوى أو الإعلان. بل لابد من الإطلاع الكافى على أصول ثقافتنا، مما لايسع المثقف المسلم جهله.

وفي مقدمة ذلك : اللغة العربية وعلومها وآدابها.

ثم تأتي علوم الشريعة بشتى فروعها : التفسير وعلوم القرآن، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والعقيدة وما يتصل بها، والتصوف والأخلاق.

وفي كل علم من هذه العلوم أصول وفروع، وله مداخل ومفاتيح، وفيه مدارس ومذاهب، وفيه مصادر ومراجع، تولدت منها متون وشروح، وحواش، منها المبسوط، ومنها الوسيط، ومنها الوجيز، ومنها الخلاصة. أضف إلى ذلك السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي العام، وتاريخ الطبقات والتراجم العامة والخاصة، وتاريخ العلوم ومصادرها.

وليس مطلوبا ولا ممكنا أن يتعمق (المثقف الأصيل) في كل هذه المعارف، ويسبر أغوارها، وإنما ينبغي أن يلم بها، ولو إلمامة سريعة، على نحو ما قالوا عن الأديب : هو من يعرف شيئا عن كل شيئ، بخلاف العالم فهو من يعرف كل شيئ عن شيئ. والمثقف في عصرنا هو الأديب في العصور الماضية.(٢٩)

٢-الإعتزاز بالإنتماء الإسلامي :

وثاني ما تتطلبه الاصالة منا هو : الإعتزاز بانتمائنا إلى الإسلام المؤثر الأول في صنع هذه الثقافة، والذي وجهها وجهته، وصبغها صبغته: {صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة}(البقرة:١٣٨)

هو الذي حدد الأهداف ورسم المناهج، وأعطى الحوافز وأرسى الدعائم، وربى الإنسان الذي يفكر ويريد ويتحرك في ضوء كتابه الهادي للتي هي أقوم،و سنة رسوله الذي جعله الله أسوة حسنة للمؤمنين، وختم برسالته كل رسالات السماء. فهو يعتز بنعمة الإسلام ،إنه دين الله الواحد، دين الرسل جميعا، الذي لا يقبل الله دينا غيره. وهو يعتز برسالة محمد عليه الصلاة والسلم.

هذا الإعتزاز بالإنتماء الإسلامي هو واجب كل مسلم رضي الله تعالى ربا، وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا. إنه الرسول الخاتم الذي بعثه، ومصححا لما حرف وبدل من الرسالات، ومتمما لما جاء بهاممما كان مناسبا للزمان والمكان وحال الإنسان، فكان عنوان رسالته التيسير لاالتعسير ،التبشير لا التنفير، ورفع الحرج عن الدين، والعنت عن المكلفين، وهو يعتز بأعظم كتاب أنزله الله، وهو القرآن، الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، هو دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض إنه الكتاب الذي تحدى العرب فأعجزهم ولايزال تحديه قائما، وإعجازه متجددا.

وهو يعتز بانتسابه إلى (الأمة الوسط) التي بوأها الله مكان الشهادة على سائر الأمم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس. وقد نقلنا عن عمر الأول : ابن الخطاب، وعن عمر الثاني :ابن عبد العزيز ما ينبئ عن هذا الإعتزاز. (٣٠)

وننقل هنا ما يؤكد هذا من كلمات ربعي بن عامر أمام رستم قائد جيوش الفرس، وهي كلمات كأنها نور من الكلام أو كلام من النور- كما يقول الرافعي رحمه الله- حين ساله رستم : من أنتم ؟ فقال ربعي رضي الله عنه : (نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام) (٣١)

٣-العودة إلى الأصول :

وثالث ما تتطلبه منا الأصالة - إذا كنا أصلا حقا - أن نعود إلى أصولنا وجذورنا العقيدية والفكرية، والأخلاقية، نستمسك بعراها، ونتشبث بأهدابها، ونحول إعتزازنا النظري والعاطفي إلى سلوك عملي. إن الإعتزاز مطلوب ولا شك، ولكنه يصبح فاقد القيمة، عديم الجدوي، إذا لم يتحول إلى عمل. بل إن

الإعتزاز هذا يصبح ظاهرة مرضية إذا ظل مجرد كلام يردد، وشعارات ترفع، وصيحات تتعالى، لسرد الأجداد، ثم لا نفعل نحن شيئا، ولا نخطو خطوة إلى الأمام.

ومن الناس من يخاف كل كلمة (عودة) أو (رجوع) ولو كان هو (الرجوع) إلى الله عز وجل – لأن العودة في رأيهم تعني السير إلى الخلف، وهم يتطلعون أبدا إلى الأمام. ولكن العودة ، ولو كانت سيرا إلى الخلف، تكون مطلوبة، بل لازمة، إذا كان السير إلى الأمام لا يؤدى إلى الهدف المنشود. ما معنى أن تسير إلى الأمام مغّربا، وهدفك مشّرق ؟ إن كل خطوة إلى الأمام تبعدك عن هدفك، وتضيع جهدك في غير طائل، بل في عكس ما تريد. والحزم كل الحزم، والعقل كل العقل هنا : أن تقرر العودة، وتسير إلى الخلف، لأنك إبتداء مشيت في الطريق الغلط ؟ وإلا كان الأمر كما قال الشاعر :

سارت مشّرقة وسرت مغّربا شتان بين مشرق ومغرب ! (٣٢)

٤-إحياء السلفية المجددة :

ومما يكمل معنى العودة إلى الاصول والجذور : الحرص على التشبع بروح السلف الصالح لهذه الأمة. وعلى رأس السلف الصحابة رضوان اله عليهم أجمعين، وإحياء منهجهم في فقه أحكام الله في شرعه، وسننه في خلقه.

وأؤكد هنا أن الذي نريده : منهج السلف الكلي، وليس أقوال السلف الجزئية، وفرق كبير بين الأمرين منهج السلف يعنى : طريقتهم الكلية في فهم الدين والعمل له. ومنهجهم – كما يبدو من استقراء أحوالهم وأقوالهم وأعمالهم – هو النظر إلى جوهر الدين لا إلى شكله، وإلى مقاصد الشريعة لا إلى حرفيتها، وإلى روح العمل لا إلى مادته، وتغليب اليسر على العسر، والتخفيف على الإعنات، كما يبدأ ذلك في مسلك الخلفاء الراشدين المهديين، الذين أمرنا

أن نتبع سنتهم. أما الأقوال الجزئية، فهذه تتأثر بظروف الزمان والمكان والعوائد والأحوال. وهي تتغير بتغير موجباتها.

إن السلفية الحقة لا تعني أن نسير سير السلف في الشكليات والجزئيات، المتطورة بتطور العادات. لا يعنى اتباع منهج السلف أن تجلس على الأرض كما كانوا يجلسون، وأن نأكل باليد كما كانوا يأكلون، وأن نركب الجمل في الأسفار كما كانوا يركبون، وأن نبنى دورنا باللبن كما كانوا يبنون.

إن السلفية الحقة كما كتبه د. يوسف القرضاوى لاتكون إلا مجددة، كما أن التجديد الحق لا يكون إلا سلفيا، وهذا ما أثبته التاريخ.

اتباع منهج السلف يوجب علينا أن نجتهد لعصرنا كما اجتهدوا لعصرهم، وأن نفكر بعقولنا لتنظيم حياتنا كما فكروا هم بعقولهم، وأن نراعى زماننا وبيئتنا وأعرافنا وأحوال عيشنا، إذا أفتينا أو قضينا أو بحثنا، أو تعاملنا مع أنفسنا أو مع الآخرين، كما راعوا هم كل ذلك، وأن نقتبس من غيرنا ما ينفعنا كما اقتبسوا، وأن نبتكر أمر دنيانا كما ابتكروا.

إن عمر بن الخطاب غيّر رأيه في بعض المسائل، وقضى فيها في عام برأي، وفي العام التالي برأي آحر، ولم ير في ذلك خرجا، قال : ذلك على ما علمنا، وهذا على ما نعلم. (٣٣)

٥-الإنتفاع الواعي بتراثنا:

ومن دلائل الأصالة : أن نجتهد في الإنتفاع بتراثنا الغني، والغوص في خضمه الزاخر، لاستخرا ج لآلئه وجواهره، في الدين واللغة والأدب والعلم والفن، وسائر المواريث الثقافية البناءة، التي خلفها الآباء للأبناء، والأجداد للأحفاد.

ولا يتصور من أمة عريقة في الحضارة والثقافة أن تهمل تراثها وتاريخها الأدبي والثقافي، وتبدأ من الصفر، أو من التسول لدى الغير : فهذا لا يقبله لنفسه فرد ولا جماعة : لأن تسول الأغنياء رذيلة ننكرها الأخلاق، وجريمة يعاقب عليها القانون.

لكن كلمة (التراث) مثل كلمات أخرى كثيرة في هذ المجال، كثيرا ما أسئ فهمها، ووضعت في غير موضوعها. حيث لم يتحدد المراد منها تحديدا يزيل اللبس والغشاوة عنها.

ذلك أن التراث يحتوي الحق والباطل، والصواب والخطأ، والسمين والغث، كما لا يخفى على كل من درس شيئا من هذا التراث. فما المراد بالإنتفاع به هنا ؟ لقد حفل التراث بالطيب من القول، والجيد من العلم، كما إمتلأ بالخبيث والردئ. حتى الكتاب الواحد، تجد فيه حقائق سبقت الزمن، وأباطيل كأباطيل العجائز. ونجدالعالم الواحد يحلّق كثيرا فيبدع، فيهبط أحيانا فيخرف، أو على الأقل يقبل الخرافة ويصدقها.

وفي علم الفقه مباحث مستفيضة عن العتق وما يتصل من أبواب المدبر وأم الولد والمكاتب وغيرها، مما ام تعد الحاجة إليه قائمة أيضا. فيه أقوال تحمل طابع زمانها ومكانها، نجمت في عصور التقليد، لا تلزمنا اليوم في شيئ إلا من باب الدراسة التاريخية.

وفي علم التصوف شطحات ونتوءات في الفكر والتصور - كالحلول والإتحاد - تناقض صفاء التوحيد الإسلامي، وأخرى في السلوك والعمل - كالمبالغة في الزهد والتوكل - تنافي وسطية الخلق الإسلامي.

وفي كتب الأدب والشعر أشياء تجاوزن الدين والخلق والعرف والذوق، كالغزل في الذكور ، والحكايات الهابطة.

وكل هذا تراث، فهل هذاهو المقصود من التراث الذي أقيمت مراكز ومؤسسات وإدارات لإحيائه ونشره وتقريبه للناس ؟

وإذا قلنا : الإنتفاع بالتراث، فهل يعني هذا أن نقبله كله بحقه وباطله، وعلمه وجهله ؟!

إننا لسنا مع الذين يضيفون القدسية أو العصمة على كل مضى، ولا مع خصوصمهم الذين يناون بجانبهم عن كل موروث، لا لشيئ إلا لأنه قديم ولكن لابد لنا من التخير والإنتقاء. وخصوصا في مجال التربية والتثقيف، أو مجال الدعوة والتوحيد، أو مجال الحكم والتشريع. ولهذا أشرنا من أول الأمر : أن المطلوب هو الإنتفاع الواعي بالتراث، لأن الوعي هو الذي يميز بين ما يصلح وما لا يصلح .(٣٤)

الإسلام فوق التراث:

وجدير بالإنتباه هنا على حقيقة هامة يغفلها بعض المعاصرين من الكتاب العلمانيين، أو يفهمونها على غير وجهها، وهي : الخلط بين الإسلام والتراث، خطأ - أحسبه مقصودا - بحيث يوهم أن أحدهما يعني الآخر .وهذا ليس بصحيح، فالإسلام ليس مجرد تراث يؤخذ منه ويترك، وشأنه شأن شعر إمرئ القيس، أو أبي نواس، أو كتاب الأغاني أو ألف ليلة وليلة.

إن اعبتار الإسلام العظيم من جملة التراث تهوين من شأنه، وحط من قدره، وتضليل للقارئ أو السامع عن حقيقته. والواجب أن يعبر عن الإسلام باسمه الصريح، كما ارتضاه الله لنا : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعتي ورضيت لكم الإسلام دينا (المائدة : ٣). إن التراث - كما بينا - كلمة واسعة، تشتمل الجد والهزل، والصواب والخطأ، والحقيقة والخرافة، والصدق والكذب، والعلم والجهل. والروائع والهوابط، من أصول الشافعي وتصوف

الغزالي، إلى مجون امرئ القيس وخمريات أبي نواس، وشعر الغزل في الذكور، والحكايات المرذولة، والإسرائيليات المردودة، والأحاديث الموضوعة، والآراء الفاسدة. فأين هذا من وحيى الله تعالى الذي ستمثل في الإسلام ؟!.

وإذا كان بعضنا يصرّ على أن يدخل الإسلام في التراث، فإن أول واجب هنا التفريق بين المستوى الإلهي والمستوى البشري من التراث، والأول هو المعصوم الذي دل عليه محكم القرآن والسنة.وهو الذي نطلق عليه : الإسلام : هو الذي يتلقى بالسمع والطاعة : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) (الأحزاب: ٣٦).

أما الثاني فهو صنعة العقل البشري في مجالات العلم والفلسفة والأدب والفن، بفروعها المختلفة، وألوانها المتنوعة وفيها ما في كل عمل إنساني من قصور البشر، وأوهام البشر، وتأثرهم بالزمان والمكان، وشتى الظروف والمؤثرات المادية والمعنوية.

إن الإسلام – المتمثل في محكمات القرآن والسنة – فوق التراث، بل هو الحكم على التراث بالقبول أو الرد، فهو المعيار لا يخطئ، والهادى الذي لا يضل.

ومع هذا المعيار إنتقل معيار آخر عقلي، ترد إليه الأمور بجوار الوحي، وهو (الميزان) المذكور في قوله تعالى : (الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان) (الشورى : ١٧) وقوله : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط).(الحديد : ٢٥)

وبهاتين الأيتين إستند الفقهاء الذين يحتكمون إلى القياس مبينين أن النص الصريح لايناقض القياس الصحيح وبعبارة آخرى لاتناقض بين صيح المنقول وصريح المعقول.

يقول الإمام ابن القيم : (إن الله أنزل الكتاب والميزان)، فكلامهما في الإنزال أخوان، في معرفة الأحكام شقيقان: فلا تتناقض دلالة النصوص الصحيحة، ولا

دلالة الأقيسة الصحيحة، بل كلها تتصادق متناصرة، ويصدق بعضها بعضا، ويشهد بعضها لبعض.[٣٥]

قراءاة مستبصرة للتراث :

وبهذا نستطيع أن نقرأ التراث قراءة مستبصرة، نقرؤه نقف على أرض صلبة، نقرؤه ومعنا هاديان من عد الله : هاد من خارجنا، وهو الوحي، وهاد من داخلنا، وهو العقل. [٣٦]

ماذا تعنى المعاصرة ؟

يراد بالمعاصر : أن يعيش الإنسان في عصره وزمانه، في أفكاره وقيمه وسلوكياته، في انتصاراته وهزائمه، في معمعة أحداثه أو مع أهله الأحياء المتحركين، يفكر كما يفكرون، ويعمل كما يعملون. لايعيش في عصر مضى بما يحمله من تصورات وعقائد، ومن قيم ومفاهيم، ومن أخلاق وتقاليد، ومن شعائر وشرائع، قد تكون صالحة للعصر وقد لاتكون.

جوهر المعاصرة - إذن - هو معايشة الأحياء لا الأموات، والواقع المائل لا الماضى الزائل. ولهذا مظاهره ودلائله، التي تقتضيها المعاصرة.

والأسس التي تقوم عليها المعاصرة هى:

١-ضرورة معرفة العصر :

أول دلائل (المعاصرة) أو مقوماتها : أن نعرف (العصر) الذي نعيش فيه معرفة دقيقة وصادقة، فإن الجهل بالعصر، أو معرفته على غير حقيقته يفضى إلى عواقب وخيمة، كالطبيب الذي يصف دواء جيدا، ولكنها قد يقتل مريضه أو

يضاعف عليه سقمه، إذا لم (يشخص) داءه تشخيصا دقيقا، أي لم يعرفه كما ينبغي.

٢-العلم والتكنولوجيا :

إن أهم مقتضيات المعاصرة، وبعبارة أخرى : أهم ما نأخذه من (العصر) هو العلم وتطبيقات (التكنولوجية)، العلم بمعناه الحديث، القائم على الملاحظة والتجريب. العلم الطبيعي والرياضي، إلىآخر مدى وصلا إليه.

٣- النظرة المستقبلية :

ومن مقتضيات المعاصرة ألا يستسلم الإنسان لظروف حاضره، بل يتطلع دائما إلى المستقبل. ومهما يضغط عليه الواقع بهمومه الآنية، ومشكلاته اليومية، وجراحه المستمرة في النزيف فإنه يرنو إلى الغد، ويستشرف للمستقبل، يعد العدة، ويأخذ له الحيطة، محاولا أن يسد ما يتوقع من ثغراث، وأن يعالج ما يطرأ من آفات، وأن يغرس نواة اليوم لتصبح نخلة أو شجرة زيتون بعد سنوات، وأن يفكر ماذا سيواجه الأبناء والأحفاد في الأجيال القادمة، وما الأخطار التي ترتقبهم ؟ والآمال التي ترتقبونها؟ وهل في الإمكان أن ندخر من يومنا لغدنا، أو لغد ذرارينا من بعدنا، وأن نقيهم بعض ما أصابنا من محن ؟ وما غشينا من فتن ؟ وما حل بنا من كوارث لم نأخذ لها الأهبة ؟

٤-العناية بحقوق الإنسان :

ومن سمات عصرنا البارزة : أنه عصر حقوق الإنسان، فلا معاصرة لنا إذا لم نعترف بهذه الحقوق في دساتيرنا، ونرعيها في مؤسساتنا، ونزرع احترامها في

عقـول أبنائنـا، وضمـائر شـعوبنا وحكامنـا. وبخاصـة حقـوق المسـتضعفين والمسحوقين. (٣٧)

ملخص البحث:

ان اغلب عقول المسلمين اليوم تعانى من أزمات فكرية الأمر الذى يؤدى الى الأزمات الأخرى التى يتألم منها العالم الإسلامى من هوان فى المجالات المختلفة .

ولتستعيد الأمة قوتها وحيويتها لابد من العلاج والخروج من هذه المآزق،ومن ضمن هذاالعلاج اعادة صياغة منهج الدراسات الإسلامية خاصة بعد الإنحطاط والتدهور فى هذاالمجال نتيجة تأثير العصور المتخلفة فى جانب،وبعد ظهور العناصر الخارجية اليها عن طريق المستشرقين.

فقد عانى طلاب الدراسات الأسلامية فى الجامعات الإسلامية ماعانوا من الإحتدام والتناقض بين أنصار المحافظين والمدعين للتجديد والمغربين مما يؤدى الى ظواهر الإرتباك والخيرة لدبهم.

فقد كتب فى هذاالموضوع كتاب ومفكرون يحاولون التقريب بينهم .فقد حاول الكاتب عرض بعض ما كتب فى هذالمجال مع بعض التحاليل المتواضعة تحت اطار الأصالة والمعاصرة فى الدراسات الإسلامية فاستخلص ما يلى :

١-ترتبط الدراسات الإسلامية لدى المسلمين برسالة النبوة فلابد ان لاتكون بينهما انفصال نظريا وتطبيقيا كما لابد أن تكون لها تميز عما لدى غيرهم .

٢-أن الدراسات الإسلامية خاصة فى الجامعات الإسلامية لابد من التوفيقها بين الأصالة والمعاصرة.

٣-ومن عناصر الأصالة هى :ضرورة المعرفة والفهم للثقافة الإسلامية والإعتزاز بالإنتماء الإسلامىوالعودة الى الأصول وإحياء السلفية المجددة والإنتفاع بالتراث.

٤-اما من عناصر المعاصرة فهى: ضرورة معرفة العصر والعلم والتكنولوجيا والنظرة المستقبلية والعناية بحقوق الأنسان.

والمجال متسع وخصب لأثراء هذاالموضوع من قبل المثقفين والمفكرين والمهتمين بالدراسات الأسلامية .

والله ولى التوفيق

مدرس بكلية التربية جامعة سونان كاليجاكا الإسلامية الحكومية

الهوامش:

١- وصد الحميد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، دار القارئ العربي القاهرة، ١٩٨١، ص ٣٠

٢- Allamah Muhammad Iqbal, *Same Hunghts on Islamic Studies In Thoughts -and Affection of Iqbal,* Edited by Syed Abdul Vahid Ashraf, Lahore, 1964, pp, 103 110

إقتبسه ضياء الدين ساردار في مستقبل الدراسات الإسلامية مجلة المسلم العاصر عدد ٣٩ ص ٢٥ عام ١٤٠٤ هـ

٣- مستقبل الدراسات الإسلامية، بحث ضياء الدين ساردار نشر بمجلة المسلم المعاصر، المرجع نفسه.

٤- A. Note Cellor, University of Karchi, Pakistan (Unpublished)

إقتبسه د. حامد حسن بلجرومي ود. سيد على أشرف في مفهوم الجامعة الإسلامية الحديثة - ص. ٣٧

٥- د. حامد حسن بلجرومي ود. سيد على أشرف في مفهوم الجامعة الإسلامية الحديثة - ص. ٣٧

٦- نفس المرجع، ص ٣٨

٧- نفس المرجع، ص ٤٠

٨- DR. Hamidullah, "Eductional System In the Time of the Prophet", *Islamic Culture*, Vol 13, PP 53

إقتبسه د. حامد حسن بلجرومي ود. سيد على أشرف في مفهوم الجامعة الإسلامية الحديثة - ص. ٤٣

٩- DR. Danial's Book Urdu Translation By Fazar Karim Dunami

إقتبسه د. حامد حسن بلجرومي ود. سيد على أشرف، المرجع نفسه ص. ٤١

١٠- نفس المرجع

١١- Contribution of The Islamic Civization By Khuda Bakh Chapter on "A. Historial Shetch of Muslim Learning, P.283.

إقتبسه د. حامد حسن بلجرومي ود. سيد على أشرف، المرجع نفسه ص. ٤٣

١٣- انظر مستقبل الدراسات الإسلامية، نفس المرجع ص ٣٠

١٤- نحو جامعة إسلامية، د. إسماعل الفاروق نشر في مجلة المسلم المعاصر عند ٣٣ المرجع ٤٧

١٥- د. يوسف القرضاوي، الثقافة العربية الإسلامية، بين الأصالة والمعاصرة، مكتبة وهبة، القاهرة ص ٥.

١٦- د. عبد الحميد أبو سليمان، نفس المرجع

١٧- ضياء الدين ساردار، نفس المرجع، ص ٣٠

١٨- نفس المرجع

١٩- مناهج المستشرقين فى الدراسات الإسلامية العربيــة، المنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلوم، ص. ١٠

٢٠- د. يوسف القرضاوى، نفس المرجع، ص ٦

٢١- نفس المرجع، ص ٣٧

٢٢- نفس المرجع

٢٣- د. عبد الحميد أبو سليمان، نفس المرجع

٢٤- نفس المرجع، ص ٤١

٢٥- نفس المرجع، ص ٤٤

٢٦-

٢٧- د. يوسف القرضاوي، أولوية الحركة الإسلامية، مكتبة وهبة، القاهرة، ص ١٤٩

٢٨- د. يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص ٤٦

٢٩- د. يوسف القرضاوي، نفس المرجع، ص ٤١

٣٠- نفس المرجع، ص ٥١

٣١- أنظر تاريخ الطبري ٥١٧/٣-٥٢٩ طبع دار المعارف

٣٢- د. يوسف القرضاوي، الثقافة العربية الإسلامية، ص ٥٦

٣٣- نفس المرجع، ص ٦٠

٣٤- نفس المرجع، ص ٦٣

٣٥- إعلام الموقعين : ٣١٩/١

٣٦- د. يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص ٦٦

٣٧- انظر د. يوسف القرضاوي، نفس المرجع من ص ٧٧-١٥٤